قصة موسى عليه السلام مع بني اسرائيل

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) .

هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل:

قال تعالى (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) يقول تعالى: اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ نجيناكم من آل فرعون(من فرعون وملئه وجنوده)

⇦**فرعون** : عَلَمٌ على من ملَك مصر كافراً ، كما أن قيصر علم على كل من ملك الروم مع الشام كافرًا، وكسرى لمن ملك الفرس، وتُبَّع لمن ملك اليمن كافراً.

قال تعالى (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أي : خلصتكم منهم، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى عليه السلام، وقد كانوا يسومونكم أي يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب وأشده وأفظعه.

ومعنى (يَسُومُونَكُمْ): يولونكم، تقول: سامه بمعنى أولاه وأوقع به وأنزل به، ويمكن أن يفهم منه أيضاً معنى الإدامة من الدوام، فـيَسُومُونَكُمْ: أي يديمون ويواصلون أذيتكم وعذابكم بشكل دائم لا ينقطع. خالد السبت

قيل أن فرعون كان قد رأى رؤيا هالته، رأى ناراً خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، فعند ذلك أمر فرعون لعنه الله قرر ان يقتل الصبية فى عام والعام الاخر يتركهم يعيشون (ففى العام الذى تركهم يعيشون يولد نبى الله هارون عليه السلام وفى العام الذى امر بقتل اى صبى يولد موسى عليه السلام) وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها .

(يَسُومُونَكُمْ) أي: يُذيقونكم ، (سُوءَ الْعَذَابِ) أي: أشدَّ العذاب

بأن كانوا (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) خشية نموكم، أي يذبحون الذكور دون الإناث .

وعبر بالتشديد (يذبّحون) دلالة على الكثرة ، لأنهم ذبحوا كثيراً من أبنائهم .

قال سعيد مصطفى ذياب في تدبر الآية :

⇦أرأيت من يموت ابنه بين يديه جوعًا؟ أرأيت من يرتجف بين يدي أمه بردًا حتى يموت متجمدًا؟

⇦أرأيت من يلفظ أنفاسه بين يدي أبويه لأنهم لم يجدوا له دواءً؟

⇦هل تخيلت حسرتهم؟ هل تصورت حزنهم؟

📝أعظم من ذلك حسرةً، وأشد منه ألَمًا أن يرى العبد ابنه في النار يعذب، ولا يملك له نفعًا ولا ضرًا.

✤ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ...}. سورة التَّحْرِيمِ: الْآيَةَ/ 6

📋ووقايتك إياهم النارَ تكون بأمرين:

١- تكون بصلاحك في نفسك.

٢- حملهم على ما يرضي الله تعالى.

✉**قال الرازي** : قال بعض العلماء : إن المراد بقوله (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) الرجال دون الأطفال ليكون في مقابلة النساء ، وأكثر المفسرين على أن المراد بالآية الأطفال دون البالغين ، وهذا هو الأولى لوجوه :

الأول : حملاً للفظ الأبناء على ظاهره.

الثاني : أنه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم.

الثالث : أنهم كانوا محتاجين إليهم في استعمالهم في الصنائع الشاقة.

الرابع : أنه لو كان كذلك لم يكن لإلقاء موسى عليه السلام في التابوت حال صغره معنى .

(وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ) أي: فلا يقتلونهن، يستبقون الإناث على قيد الحياة ، للخدمة .

✉ فإن قال قائل : إن بقاء البنت حية أفضل من موتها ، فما وجه جعل ذلك من إهانتهم ؟

⇦إبقاء الإناث يعتبر عار وتعذيب ، لأن موت البنت أرحم من بقائها عند عدو يذلها ويهينها .

📋**الشنقيطي** : ... فبقاؤهن [أي الإناث] تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار ويستخدمهن في الأعمال الشاقة نوع من العذاب، وموتهن راحة من هذا العذاب وقد كان العرب يتمنون موت الإناث خوفاً من مثل هذا .

📋فأنتم بين قتيل ومذلل بالأعمال الشاقة، مستحيي على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة. بدائع الفوائد

(وَفِي ذَٰلِكُم) أي: الإنجاء **(بَلَاءٌ)** أي: إحسان

✉فمن الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق عدوهم وهم ينظرون لتقر أعينهم.

📋قال ابن جرير : وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا آباءكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم ، أي نعمة عظيمة عليكم في ذلك .

📝البلاء هنا بلاء نعمة وأصل"البلاء" في كلام العرب - الاختبار والامتحان، ثم يستعمل في الخير والشر.

⇦لأن الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر، كما قال ربنا جل ثناؤه: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ، يقول: اختبرناهم، وكما قال جل ذكره: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] . بدائع الفوائد

(وَفِي ذَلِكم بَلاءٌ) (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره.

وقبل الإهلاك والإغراق لفرعون وقومه أخذهم الله -عز وجل- بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، فنضب النيل، وغاض ماؤه، وقصر عن إرواء أراضيهم، فنقصت ثمراتهم، وذوى عود خيرهم، ثم أغرقهم الطوفان من مطر السماء، فأضر بما بقي من الزرع والضرع، ثم زحف عليهم جراد أكل الثمار والأزهار، واستولى عليهم القمل فأقض مضاجعهم وأقلق رقادهم، وابتلوا بالضفادع فنغصت عيشتهم، واحتشد جمعها في طعامهم وشرابهم وبين ملابسهم، وسلط عليهم الرعاف من أنوفهم -أي خروج الدم.-ثم محق الله أموالهم وأهلكها جزاء كفرهم وعنادهم؛ قال تعالى :(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) الأعراف130 :137

وكما في هذه الآيات وغيرها فإن الله -عز وجل - يكشف العذاب والبلاء عن فرعون وقومه بعد أن يطلبوا من موسى أن يدعو الله ليكشف عنهم البلاء، فلما كشفه الله -عز وجل- عادوا لنقض العهد وخانوا حتى انتقم الله منهم بإغراقهم كما سنتحدث عنه مستقبلاً.

وكان فرعون وقومه يؤذون بني إسرائيل، ويكذبون ما جاء به موسى وأخوه هارون، فعزم موسى بعد أن أوحى الله إليه أن يخرج بهم من مصر إلى الأرض المقدسة، وقد سهل الله إليها طريقهم، فساروا حثيثًا يدفعهم الخوف ويعصمهم الإيمان، حتى قطعوا رقعة اليابسة المصرية، وإذا بهم أمام بحر لجي يقف سدًّا منيعًا دون غايتهم، فساورهم القلق، واستولى عليهم الجزع، ودخل نفوسهم الروع والفزع؛ لأن فرعون وقومه جدوا في السير في طلبهم، وأوشكوا أن يقتربوا منهم لأنهم -على حد زعمه- عبيد آبقون، وأتباع مارقون، وقد كان فرعون جيّش جيشه، وحشد خيله ورجاله، وسار وراء موسى ومن تبعه، فقربوا منهم، فهاج بنو إسرائيل، وتقطعت نفوسهم همًّا وحسرة، وصاح أحد قوم موسى فيه مستنجدًا: يا كليم الله: ها قد أدركنا عدونا؟! فالبحر أمامنا، والعدو وراءنا، وليس لنا من الموت محيص ولا مفر.

فقال موسى: لقد أمرت أن أتجه إلى البحر، ولعلي أومر الآن بما أصنع ، فسار الأمل في نفوسهم، وأوحى الله -عز وجل- إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فإذا باثني عشر طريقًا بعدد بطون بني إسرائيل، فهيأ الله -عز وجل- لهم في البحر طريقًا عظيمًا، قال تعالى) :(فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) (طه:77)

فأصبح في البحر طريق، وعلى كل جانب كالجبل العظيم من المياه، فدخلوا بأمر من الله حتى خرجوا من الجهة الأخرى سالمين، وإذا بفرعون وجنود خلفهم يتأهبون ليسلكوا من البحر مسالك بني إسرائيل التي عبروا منها حتى يلحقوا بهم، فعاد الخوف والقلق إلى نفوس بني إسرائيل بعد أن أظلهم الأمن، وهنا همّ موسى أن يدعو البحر ليعود إلى حاله حتى يحول بينهم وبين فرعون ويحجزهم حتى لا يبطشوا بهم في كل زمان ومكان، فأوحى الله -عز وجل- إلى موسى أن يترك البحر ساكنًا على حاله؛ لأنه سبحانه له أمر آخر .

⇦تلقّت فرعون وجنوده، فإذا سبل البحر مفتحة أمامهم، فأخذهم الغرور والضلال، فأمر فرعون جنوده إلى عبور البحر، فلما وصلوا إلى عرضه ودخلوا فيه جميعًا انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين، فصاروا مثلاً للآخرين.

⇦ وكان قد رسخ في عقولهم أن فرعون لا يموت حسب وهمهم، ولكن هذه قدرة الله -عز وجل-، عند ذلك أمر الله - عز وجل - البحر أن يلقي جثة فرعون على ساحله ليراها بنو إسرائيل ويصدقوا ويذهب خوفهم واعتقادهم أنه لا يموت، فنظر بنو إسرائيل إلى جثته داهشين ذاهلين، ليكون آية لمن خلفه، آية ناطقة على قدرة الله ومعجزته، وذلك غاية الإنعام الذي تفضل به رب العالمين على موسى وقومه.

قال تعالى (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) 50

(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) أي : وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام، خرج فرعون في طلبكم ففرقنا بكم البحر كما أخبر تعالى عن ذلك مفصلاً في سورة الشعراء **(فأنجيناكم)** أي خلصناكم منهم وحجزنا بينكم وبينهم وأغرقناهم .

•**قوله تعالى (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ)** الباء للسببية أي : أي : فصلنا بعض أجزاء البحر عن بعض بسبب دخولكم فيه ، ليمكنكم المرور سالكين بين أجزائه ، وقيل إن (الباء) بمعنى (اللام) والمعنى : فرقنا بكم أي : أي فرقنا لكم ، وهو عائد للمعنى الأول ، لأن اللام للتعليل ، والباء للسبب ، فالمعنى متقارب .

✉فرقنا : أصل الفرق الفصل ، ومنه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل.

✉لم يبين هنا كيفية فرق البحر بهم ، لكنه بين ذلك في مواضع :

كقوله تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) الشعراء

وقوله (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (77) طه .

(فأنجيناكم) أي خلصناكم منهم وحجزنا بينكم وبينهم وأغرقناهم .

(وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ)

(وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) بأبصاركم ، ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوكم .

قال ابن عاشور : وهذا الحال زيادة في تقرير النعمة وتعظيمها فإن مشاهدة المنعم عليه للنعمة لذة عظيمة لا سيما ومشاهدة إغراق العدو أيضاً نعمة زائدة كما أن مشاهدة فرق البحر نعمة عظيمة لما فيها من مشاهدة معجزة تزيدهم إيماناً وحادث لا تتأتى مشاهدته لأحد.

ذكر الله تعالى الإنجاء والإغراق ولم يذكر اليوم الذي كان ذلك فيه ، لكن ثبت في الصحيح أنه كان يوم عاشوراء .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، - رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ " . فَقَالُوا هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ " . فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ .

قال السمرقندي : وكان في قصة فرعون وغيره علامة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا يعرف ذلك إلا بالوحي ، فلما أخبرهم بذلك من غير أن يقرأ كتاباً، كان ذلك دليلاً أنه قاله بالوحي، وفيه أيضاً تهديد للكفار ليؤمنوا حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وفيه أيضاً تنبيه للمؤمنين وعظة لهم ليزجرهم ذلك عن المعاصي.

قال تعالى (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)51

✉**قال ابن كثير** : يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عند انقضاء أمد المواعدة ،وكانت أربعين يوماً وهي المذكورة في الأعراف في قوله تعالى (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ)

قيل إنها : ذو القعدة بكماله وعشر من ذي الحجة، وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر .

☜بعد أن جاوز موسى البحر وسأله قومه أن يأتيهم بكتاب من عند الله ، فخرج إلى الطور في سبعين من خيار بني إسرائيل ، وصعدوا الجبل وواعدهم إلى تمام أربعين ليلة ، فلما تأخر موسى عن الموعد الذي ذكره لبني إسرائيل فتنوا بعبادة العجل ، ☜وقال لهم السامري (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (88)طه

⇦ فاطمأنوا إلى قوله ونهاهم هارون وقال (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ)90طه

⇦ فلم يتبع هارون ولم يطعه في ترك عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً فيما روي في الخبر ، وتهافت في عبادته سائرهم ، فلما رجع موسى ووجدهم على تلك الحال ألقى الألواح وأحرق العجل وذره في البحر ، وقال (يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ)54البقرة فجعل الله من توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً .

(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)

•**قوله تعالى (مِنْ بَعْدِهِ)** أي : من بعد ذهاب موسى إلى ميقات ربه .

(وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة، فهو أعظم جرما وأكبر إثما. السعدي

(وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) أي: بعبادتكم العجل، فإن الشرك ظلم، لأن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك ظالم، لأنه وضع العبادة التي هي حق لله تعالى وحده، وضعها في المخلوق الضعيف الفقير أو وضعها لصنم أو حجر أو شجر، ولأجل هذا البيان فإن القرآن يكثر الله فيه إطلاق الظلم على الشرك .اللهميد

هؤلاء أنجاهم الله قبل قليل من البحر وأغرق آل فرعون، المفروض أن يكون هؤلاء في غاية الخضوع والإخبات والشكر والاستسلام والانقياد: (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي) استضعفوا نبيهم هارون عليه وَكَادُوا يعني قاربوا قتله، أنجاهم الله من هنا وعبدوا العجل من هنا؛ ولا اكتفوا بذلك استضعفوا نبيهم، وكادوا أن يقتلوه. خالد السبت

قال البغوي في تفسير آية (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)

(ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) فالعفو : مَحْوُ الذنب ؛ أي محوْنا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم.

⇦العفو يعني المحو، محو أثر الذنب، جريمة كبيرة عبادة عجل واستضعاف نبي، وهموا بقتله، ومع ذلك عفا عنهم، هذا الإجرام وقبل توبتهم بعد عودة موسى :(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي: من أجل أن تشكروا الله -تبارك وتعالى- ولا تتمادوا في الكفر.⇦فانظر إلى سعة حلمه -تبارك وتعالى- وانظر إلى عظيم جوده وكرمه وعفوه ومغفرته، فهؤلاء عبدوا العجل، ومعهم الأنبياء، هؤلاء -عليهم السلام- وقد أنجاهم فقابلوا النعمة بالكفران، ومع ذلك الله -تبارك وتعالى- عفا عنهم، فلا يتعاظمه ذنب فمهما عظمت ذنوب العبد ينبغي أن يتوب، وليس بينه وبين الله واسطة، وليس بينه وبين المغفرة إلا التوبة الصادقة، والله وعد من تاب أن يقبل توبته وأن يتوب، بل يفرح بتوبة عبده. خالد السبت

(مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي من بعد عبادتكم العجل . (والعجل ولد البقرة).

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي : لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم.

📝قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية.

✉قال الفضيل: "شكر كل نعمة أن لا يعصي الله بعد تلك النعمة".

📝وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر.

📋 قال بعض العلماء : أن كل (لعل) في القرآن هي بمعنى التعليل إلا التي في سورة الشعراء (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) قالوا :هي بمعنى : كأنكم تخلدون.

📝إذا أذنبنا ذنبًا فلم نجد له أثرًا في الحال، فلا بد أن نحدث له توبةً، ونظهر له ندمًا.

⇦واشكر الله تعالى على ستره لك، فلعله عفا عنك، وعفر لك.

⇦لعله تجاوز عن اساءتك ، فلم يفضحك.

⇦وهذه نعمة تستوجب الشكر.

📋**والشكر : هو القيام بطاعة المنعم اعترافاً بالقلب ، وثناء باللسان ، وطاعة بالأركان .**

⇦قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) .

✉**الله كريم يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل ، الشكر مفتاح المزيد.**

✉لما عقر سليمان الخيل غضباً له إذ شغلته عن ذكره ، فأراد ألا تشغله مرة أخرى ، أعاضه عنها متن الريح .

✉ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته ، أعاضهم عنها أن ملّكهم الدنيا وفتحها عليهم .

✉ولما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء .

📋**كيف يتحقق الشكر ؟**

❶ : سؤال الله ذلك .

كما قال تعالى عن سليمان : (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) .

وقال ع لمعاذ : (يا معاذ ، لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك). رواه أبو داود

❷ : أن يعلم الإنسان أن النعم إذا شكرت قرت وزادت .

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) .

❸ : أن يعلم الإنسان أن الله سيسأله يوم القيامة عن شكر نعمه .

قال تعالى : (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) .

✉**قال ابن كثير :** أي ثم لتسألن عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما ذا قابلتم به نعمه من شكر وعبادة .

❹: أن ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا، فإذا فعل ذلك استعظم ما أعطاه الله.

قال ε : (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) .

فضائل الشكر :

❶ : الله أمر به .

قال تعالى : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

❷ : التوبيخ على عدم الشكر .

قال تعالى : (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ) .

❸ : الثناء على الشاكرين وأنه سبل الرسل .

قال تعالى : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) .

❹ : الشكر نفع للشاكر نفسه .

قال تعالى : (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) .

❺ : أن الشكر إذا صدر من المؤمنين فهو مانع من نزول العذاب .

قال تعالى : (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ) .

❻ : أن الشكر سبب لزيادة النعم .

قال تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) .

❼ : أن الصفوة من عباد الله يسألون الله أن يوزعهم شكر نعمته .

قال تعالى عن سليمان : (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) .

❽ : أن الشاكرين قليلون .

قال تعالى : (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ) .

وقال تعالى : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) .

⇦وهذا يدل على أنهم هم خواص الله .

يجب أن يعلم العبد أن الشكر مفتاح المزيد ، أن كفرها إعلان لزوالها.

✉وسبب كفر النعمة ، أن العبد يألف النعم، ثم يستقلها، ويشغله المفقود وينسى الموجود،لا يعتبر بمن هو دونه ، ويشقيه من هو فوقه ، فيحتقرالنعم ويزدريها إلى أن يكفربها ، فيستجلب غضب الله ، فيذيقه خلافها ، ليندم ويتآلم ويعلم قيمتها ، (وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ) يوم أحد كان الظفر ابتداء للمسلمين غير أنهم اشتغلوا بالغنيمة ، وترك بعض الرماة مركزهم طلبا للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة، التأديب والعقاب بعد العطاء يكون أشد ما يكون، لذلك كان التطهير لبني إسرائيل ، أن يقتل من لم يعبد العجل ، من عبد العجل ، مع أن زوال الدنيا عند الله ،أهون من إزهاق النفوس وقتلها ، لكنهم عصوا من بعد من آراهم ما يحبون ،نجاهم من الطاغية الذي قتل ابناءهم واستحيا نسائهم ، وأنزل عليهم الكتاب هدايه ورحمة بعدما سئلوه ، ثم عبدوا

العجل، وساووا بين الخالق العظيم المعطي ، وبين من لا يملك ضرا ولا نفعا ، فكان هذا جزائهم أن يقتل بعضهم بعضا.

(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (53)

(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أي وأعطينا موسى الكتاب وهو التوراة .

✉**قال ابن عاشور:** هذا تذكير بنعمة نزول الشريعة التي بها صلاح أمورهم وانتظام حياتهم وتأليف جماعتهم مع الإشارة إلى تمام النعمة وهم يعدونها شعار مجدهم وشرفهم لسعة الشريعة المنزلة لهم حتى كانت كتاباً فكانوا به أهل كتاب أي أهل علم تشريع.

- وموسى هو ابن عمران ، أفضل أنبياء بني إسرائيل ، وأحد أولي العزم من الرسل ، وهو كليم الرحمن .

(وَالْفُرْقَانَ)(وإذا آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح وفرقنا بها بين الحق والباطل) الطبري.

⇦ففي هذا الميقات الذي كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام به وأنزل عليه التوراة :(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَاب) واذكروا نعمتنا عليكم إذ أتينا موسى الكتاب، أعطينا موسى الكتاب (وَالْفُرْقَانَ) فهذا الكتاب وصفه الله -تبارك وتعالى- بهذا الوصف أنه فرقان، يفرُق الله تعالى به بين الحق والباطل، والمقصود بذلك التوراة، وذلك من أجل أن يهتدوا لَعَلَّكُمْ أي: من أجل هدايتكم. خالد السبت

(لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) : أي لكي تهتدوا بالتدبر فيها والعمل بما فيها من أحكام .

⇦وهذه الآية يؤخذ منها أن إنزال الكتب نعمة من الله عزوجل وتقدست أسماؤه، بل هي من أعظم النعم وأجلها؛ لأن الناس لا يمكن أن يعرفوا حقائق الأمور، لا يمكن أن يعرفوا كثيرًا من الغيوب إلا عن طريق الوحي.خالد السبت

⇦إذًا هذه الكتب نزلت من أجل الاهتداء، ولم تنزل هذه الكتب من أجل أن تتلى فحسب، أن يتلوها المسلم من أجل أن يحصل الحسنات والأجر والثواب، فهذا مطلوب بلا شك، ولكن المقصود الأساس هو الاهتداء بها، وإنما طريق الاهتداء التدبر، أن يتدبرها ليعقل عن الله -تبارك وتعالى- مراده، فمن أراد الهداية فعليه بتدبر القرآن فهو أصل الهداية وينبوعها، ولا بد من ذلك وإلا فالضلال سيكون حليفه.خالد السبت

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (54)

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) أي واذكروا إذ قال موسى لقومه بعدما رجع من الموعد الذي وعده ربه فرآهم قد اتخذوا العجل .

(يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) وأي ظلم أعظم وأشد من أن يتخذ الإنسان مع بارئه وخالقه إلهاً يعبده ، فإن هذا أظلم الظلم كما قال تعالى (إِ نَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) .

قوله تعالى (بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) : أي إلهاً .

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا)3الفرقان

ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك .

(**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**) أي خالقكم ، والتوبة الرجوع من المعصية إلى الطاعة ، مع الإقلاع والندم .

⇦والعبد يجب عليه أن يبادر بالتوبة ولا يسوف لأنه لا يدري في أي لحظة يختطف ويموت، ولا يدري الإنسان هل يوفق للتوبة قبل موته أو لا.

(**فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**) أي ليقتل بعضكم بعضاً ، وإنما عبر بقتل النفس ، لأن المؤمن أخو المؤمن فكأنه هو نفسه ، فالأمة الواحدة المجتمعة على شيء ينزلون منزلة النفس الواحدة .

(**ذَلِكُمْ**) أي القتل .

(**خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**) أي رضاكم بحكم الله ونزولكم عند أمره خير لكم عند الخالق العظيم .

⇦ فالبارئ : هو الذي أوجدهم من العدم برأهم أوجدهم بعد أن كانوا عدمًا، فكيف تتخذون عجلاً صنعتموه بأيديكم وتتركون وتعرضون عن المستحق للعبادة وهو البارئ الموجد من العدم.

⇦ (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) إلى خالقكم الذي أوجدكم من العدم، وذلك بأن يقتل بعضكم بعضًا : فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذلك القتل خير لكم عند خالقكم وربكم وبارئكم من العقوبة التي تنتظركم وهي النار، فامتثلتم ذلك فَتَابَ عَلَيْكُمْ فمنَّ عليكم بقبول توبتكم، وفقكم للتوبة وقبلها منكم. خالد السبت

عن ابن عباس قال: قال موسى لقومه: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم). قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم ، قال: فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا ، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، وأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة ، فجعل يقتل بعضهم بعضا، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل ، كل من قتل منهم كانت له توبة ، وكل من بقي كانت له توبة. الطبري

مع أن الله آتاهم ما لم يؤت أحد من العالمين ، وهم أبناء أنبياء ، ومع ذلك لا محاباة ،الذي يعصي ويتكبر على أمر الله ،لا بد من التأديب والتطهير ، يجب أن يكون العبدعلى وجل وخوف من معاصيه لانه لا يعلم بأي شيء سيكون التطهير ومحو الذنوب .

قال الشنقيطي : أن هذا القتل بهذه التوبة يقطع حياتهم الدنيوية ، ولكنه يكسبهم حياة أخروية ، وهذه الحياة الأخروية خير من الحياة الدنيوية .

(**فَتَابَ عَلَيْكُمْ**) في الكلام حذف تقديره : ففعلتم فتاب عليكم ، أي فقبل توبتكم وتجاوز عنكم .

(**إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) الذي يتوب على التائبين ، فمن رحمته أنه يقبل توبة التائبين مهما عظمت ذنوبهم .

وهذا من سعت رحمت الله بعباده ، برغم جحودهم للمنعم ، لا يزال يفتح لهم باب التوبة ، ويقبلهم بعيوبهم ويحلم عليهم ،لانه هو البر الرحيم.

عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[مسلم ، أحمد]

والله أرحم بالعباد من أمهاتهم ، فلا يغلق بابه دون عباده ، ولا يقنطهم من رحمته ، بل يفتح لهم باب التوبة حتى يتوبوا ،ولا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها.

قال صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»صححه الالباني

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) أي واذكروا يا بني إسرائيل حين خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل .

وهذا غاية الظلم والجراءة على الله وعلى رسوله.

(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ) أي لن نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله ، وبأن الله أمرك ونهاك .

(حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) علانية (رؤية بصرية). كفاحًا رؤية لا لبس فيها ولا غموض.

في القائلين لموسى ذلك قولان :

القول الأول : أنهم السبعون المختارون، فلما صار يكلم موسى ربه ويكلمه الله، قالوا (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً).

⇦وهؤلاء هم النخبة الذين اصطفاهم موسى عليه السلام:(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) الأعراف:155

القول الثاني : أنه لما رجع موسى من ميقات الله ، وأنزل عليه التوراة ، وجاء بها قالوا : ليست من عند الله (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) .

حكى أكثر المفسرين أن طلب الرؤية كان بعد عبادة العجل ، اختارهم موسى ليستغفروا ربهم عن عبادة بني إسرائيل العجل.

(فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ) إما الموت أو الغشية العظيمة، الصاعقة : بمعنى الشيء الهائل العظيم إذا عاينه الإنسان فإنه يموت لهوله أو يحترق أو يفقد شيئاً من حواسه .

(وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أي ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت .البغوي

(ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ) أي أحييناكم ، وفي هذا دليل على أن صعقهم كان موتاً حقيقياً .

(لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي : لتشكروا الله على إنعامه عليكم بالبعث بعد الموت

•وهذه قصة من خمس قصص مذكورة في سورة البقرة في إثبات البعث .

أي: من أجل أن تشكروا نعمة الله عليكم وتستدركوا هذا النقص والتقصير والعتو على الله وعلى رسله -عليهم الصلاة والسلام- فهذه نعمة كون الإنسان مات فأحياه الله من جديد حياة جديدة فرصة جديدة في الحياة، يحتاج أن يجدد العمل ويراجع نفسه، وقل مثل ذلك فيمن عاين أسباب الهلاك فأنجاه الله منها، وقع له مرض، أشرف على الهلكة، سلَّم ودع وصى يئس من الدنيا ثم أعاده الله من جديد فبرئ، فأين العمل؟يعود كثير من الناس إلى ما كان عليه، انقلب في السيارة ثلاث أربع خمس مرات قلبات، شاف الموت أمامه، انظر إلى السلوك بعدها تغير، تغيرت الحياة، هذه حياة جديدة، فبعض النفوس لا يوفق أصحابها ولا يعتبر ولا يتفكر، فالعبد المؤمن العاقل الرشيد هو الذي يتعظ ويعتبر بكل ما يقع له، ويحمد الله ويجعله ذلك يراجع نفسه من جديد، يراجع حساباته، لربما ذهبت نفسه في هذه أو تلك، ولهذا قيل: العاقل من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه ومن الناس من لا يتعظ لا بغيره ولا بنفسه، فهذا أشقى من الشقي نفسه، وفي كل ما تراه عبر وعظات اعتبر بكل ما تشاهد، إن رأيت محسنًا أو مسيئًا فهذا كله فيه عبر، الحياة كلها عبر. خالد السبت

وقال تعالى : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ)

ثم ذكر نعمته عليكم في التيه والبرية الخالية من الظلال وسعة الأرزاق،

ويؤخذ من هذه الآية ما يتصل بالمناسبة وذلك أن الله -تبارك وتعالى-لما ذكر ما دفع عنهم من النقم شرع يذكرهم بما أسبغ عليهم من النعم :(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) قبل ذلك ذكرهم بنعمه، بإنجائهم من آل فرعون، وما كانوا يفعلون بهم، وإنجائهم من الغرق وإغراق هذا العدو، وكذلك أيضًا ما حصل من توبته -تبارك وتعالى-عليهم، ومن إحيائهم بعد موتهم حينما أخذتهم الصاعقة، وما إلى ذلك.

قال الشوكاني: وقد ذكر المفسرون أن هذا جرى في التيه بين مصر ، والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين.

ثم قال تعالى مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام ، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى [عليه السلام] فوجدوا فيها قوما من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها ، فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام ، بالدخول إليها ، وبقتال أعدائهم ، وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم ، فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره ، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين ، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد ، مدة أربعين سنة ، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله [تعالى] فقال تعالى مخبرا عن موسى أنه قال : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) أي : المطهرة .

(يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (23)المائدة

(قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)المائدة

فستجاب الله دعاء موسى عليه السلام حرم الله عليهم القرية التي نكلوا عن دخولها مدة أربعين سنة، وليس فقط حرمان لكن تيه في الصحراء، يخرجون في الصباح يبحثون عن مخرج لا يأتي عليهم المغرب إلا ويجدون أنفسهم في المكان الذي بدؤوا البحث منه، لا يجدون مخرجاً من صحراء.

وكان ذلك لما كانوا في التيه، واشتكوا الحر ، دعا نبي الله موسى لهم ، فظلل الله عليهم الغمام ، وهو غمام أبيض رقيق يُظلهم من الشمس.

فقال: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ)

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ) جمع غمامة، سمي بذلك لأنه يغُم السماء، أي: يواريها ويسترها، وهو السحاب الأبيض، ظللوا به في التِّيهِ ليقيَهم حر الشمس.

قال الرازي : قال المفسرون (وَظَلَّلْنَا) وجعلنا الغمام تظلكم ، وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس .

فهذا الظل الذي يحصل للناس لا شك أنه نعمة لكنهم لا يستشعرونها، الناس لا يستغنون عن هذا، فلما كان بنو إسرائيل في التيه ظلل هؤلاء بالغمام، فالله -تبارك وتعالى- جعل لنا من هذه البيوت والمساكن والأشجار وما إلى ذلك جعل لنا فيها الظل الظليل الذي نتقي فيه حر الشمس، ونتقي فيه أيضًا المطر وما يتأذى منه الناس. خالد السبت

فقال: (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ)

قال ابن كثير: والله أعلم أنه أكل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس فيه عمل ولا كد ، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم (الكمأة من المن) أي: من جنس ما منّ الله به على بني إسرائيل، حيث إنه يوجد – فضلاً من الله – من غير تعب .

📃**وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل والكمأة والخبز وغير ذلك.السعدي**

(وَالسَّلْوَى) طائر صغير يقال له السُّمَانَى ، طيب اللحم .

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) وهما طيبان حساً ومعنى ، للذاذة طعمهما وحِلِّيتهما شرعاً ، لأنهما منّ وفضل من الله جل وعلا .

✉**أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهين، مما رزقناكم كهذا المنّ والسلوى .**

📃**فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب.**

(وَمَا ظَلَمُونَا) يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، **(وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** فيعود ضرره عليهم.

✉**لان الله لا تضره معصية العاصين، كما أنه لا تنفعه طاعة الطائعين** كما جاءفي الحديث القدسي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ..)مسلم.

وكما قال تعالى (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا).الاسراء

(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (38) محمد

قال تعالى (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم وأن يعبدونا فخالفوا وكفروا فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات ، والمعجزات القاطعات ، وخوارق العادات، فظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي ومقابلة النعم بالمعاصي .

قَالَ الله تَعَالَى: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. سورة البقرة: الْآيَةُ / 57

✉قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب : كل مخالفة يقع فيها العبد، وكل انحراف منه عن منهج الله تعالى فإنما ضرر ذلك على ذلك عليه هو.

✉وكل إنسان له من الشقاء وضنك العيش والبؤس بقدر انحرافه عن منهج الله، وبقدر مخالفته لأمر الله تعالى.

✉أما الله تعالى فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العصاة المخالفين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. سورة آل عمران: الآية/ 177

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي». رواه مسلم

❁فارفق بنفسك فإن سهام معصيتك مُفوقَةٌ إليك، ومُصَوبَةٌ نحوكَ، ومُرْسَلَةٌ عليك.

✉**قال ابن كثير:** ومن هنا يتبين فضيلة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم ، مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته ، منها عام تبوك في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد ، ولم يسألوا خرق عادة ولا إيجاد أمر ، مع أن ذلك كان سهلاً على النبي صلى الله عليه وسلم .

⇦وانظروا كيف كان رد الأنصار الذي منهم سعد هُم الأكثريّة في المسلمين فقال له الرسول: تَكلّم يا سَعد؛ فقال سَعد:« قد آمنّا بِكَ وصدّقناك، وشَهِدنا أنَّ ما جئت به الحق، وأعطيناك مَواثِيقنا على السَّمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لِمَا أرَدْت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخُضناه معك، ما تَخلَّف مِنّا رجل واحد، وما نَكره أنْ تَلقى بنا عَدوّنا غداً، إنّا لَصُبرٌ عند الحرب، صُدقٌ عند اللِّقاء، لعلَّ الله يُريكَ فينا ما تَقرُّ به عَينُك، فَسِر بنا على بركة الله».

قال تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59) .

⇦الآمر هنا الله سبحانه وتعالى وبوحيه إلى نبيه موسى عليه السلام.

✉**قال القرطبي :** واختلف في تعيينها ؛ فقال الجمهور :هي بيت المقدس ، وهذه نعمة أخرى ، وهي أنه أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التِّيه.

⇦خرج يوشع بن نون ببني إسرائيل من التيه، بعد أربعين سنة، وقصد بهم الأرض المقدسة. كانت هذه الأربعين سنة - كما يقول العلماء- كفيلة بأن يموت فيها جميع من خرج مع موسى عليه السلام من مصر، ويبقى جيل جديد تربى على أيادي موسى وهارون ويوشع بن نون، جيل يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويؤمن بالله ورسله. قطع بهم نهر الأردن إلى بيت المقدس، وتأتي بعض الروايات لتخبرنا بأنه في المعركة الأخيرة التي بدأت في يوم الجمعة، أوشك اليهود على تحقيق الانتصار، لكن الشمس قاربت على المغيب -وكان اليهود لا يعملون ولا يحاربون يوم السبت - فخشي يوشع بن نون أن يذهب النصر. فنظر يوشع إلى الشمس وقال: "إنك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها علي". فتوقفت الشمس مكانها، وظلت واقفة إلى أن فتح بيت المقدس ودخله.

✉**قال الشنقيطي :** ولما زال عنهم التيه ، ومات موسى وهارون ، وكان الخليفة بعدهما يوشع بن نون ، وجاءوا وجاهدوهم الجهاد المعروف الذي ردّ الله فيه الشمس ليوشع بن نون ، وفتحوا البلد ، أمرهم الله أن يشكروا هذه النعمة بقولٍ يقولونه ، وفعلٍ يفعلونه ، فبدلوا القول الذي قيل لهم بقول غيره ، وبدلوا _ أيضاً – الفعل الذي قيل لهم بفعل غيره .

قال تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا)

⇦وهذا أيضا من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه ، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزا ووطنا ومسكنا، ويحصل لهم فيها الرزق الرغد،

(فَكُلُوا مِنْهَا) أمر إباحة .

(حَيْثُ شِئْتُمْ) أي : في أي مكان كنتم في البلد .

(رَغَداً) أي : أكلاً رغداً أي : واسعاً لذيذاً لا عناء فيه ولا تعب .

وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل ، وهو دخول الباب

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً) أي: خاضعين ذليلين، أن يدخلوا باب القرية سجداً شكراً لله على النعمة ،فلما أنعم الله عليهم بدخول الأرض المقدسة بعد التيه الذي ضربه الله عليهم أربعين سنة ، لزمهم شكر هذه النعمة بأن يدخلوا الباب (باب القرية) سجداً .

وسجود الشكر مشروع في شريعتنا ، وقد سجده النبي صلى الله عليه وسلم وسجد أصحابه

انظروا إلى النبي ﷺ حينما دخل مكة، دخلها ﷺ وهو نصر كبير؛ دخلها في غاية التواضع، دخلها وهو خاضع لربه -تبارك وتعالى- حتى جاء أن عنثوته ﷺ أو أن عثنونه ﷺ قد التصق ليمس مورك الرحل، يعني قد نزَّل رأسه، والعثنون: هو ما استرسل من اللحية، قد مس مورك الرحل ، يعني قد طأطأ رأسه ﷺ وهو داخل مكة فاتحًا، في غاية التواضع، واغتسل ﷺ وصلى ثمان ركعات، هذا وهو رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فهكذا ينبغي لمن فتح الله عليه أن يعترف بذنوبه وتقصيره ويستغفر منها، ويشكر الله تعالى على هذه النعمة (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) البقرة:58.

وبالقول وهو أن يقولوا: (**حِطَّةٌ**) أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته.

(**نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**) المغفرة : ستر الذنب والتجاوز عنه ،

والخطيئة : الذنب العظيم الذي يستحق صاحبه التنكيل ، والمعنى : نتجاوز ونستر لكم ذنوبكم العظيمة .

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب : من سعة رحمة الله تعالى، وعظيم مغفرته أنه يعلق المغفرة أحيانًا على كلمة يقولها العبد.

كما في هذه الآية {وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ}.

وكما قَالَ المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ". رواه البخاري ومسلم

وكما قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ ."رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح

ولكن بعض الناس يضيقُ صَدْرُهُ بتلك الكلمةِ، وتَنُوءُ هذه الكلمةُ بلسانِهِ، فلا يستطيع نطقها .

وهنا ندرك لِمَ أُمِرَ العبدُ أن يَسْأَلَ رَبَهُ أن يعينه على ذِكْرِهِ.

(**وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**) الذين يحسنون في عبادة ربهم ، ويحسنون إلى المخلوقين طلباً لمرضاة الله.

بأعمالهم خيرًا وأجرًا وثوابًا، يعني إضافة إلى مغفرة الذنوب الثواب والأجر للمحسنين منكم.

الإحسان هو ذروة كل شيء، فالإحسان هو ذروة الدين، وذروة الأخلاق، وذروة البذل والعطاء.

ولما كان المحسن زائدًا عن حد الفرض، متطوعًا بأكثر مما أمر به كان المزيد من الفضل جزاؤه.

✉فَكَمَا أَحْسَنُوا الاعتقادَ، والأخلاقَ، والْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا، أَحْسَنَ اللَّهُ مَآلَهُمْ، وَثَوَابَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

✉ولما كان الجزاء من جنس العمل، كان جزاء الْمُحْسِنِينَ إحسانًا.

كمَا قَالَ الله تَعَالَى: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ}. سورة الرَّحْمَنِ: الْآيَةُ / 60

✉بل وأكثرُ مِنَ الإِحْسَانِ، النظر إلى وجه الله في الجنة.

قَالَ الله تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}. سورة يُونُسَ: الآية/ 26

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا

(قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فقالوا بدل حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أدبارهم، ولما كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم،

في صحيح البخاري عن أبي هريرة . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة ، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقال : حبة في شعير) .

قال: (فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) منهم **(رِجْزًا)** أي: عذابا **(مِنَ السَّمَاءِ)** بسبب فسقهم وبغيهم.

(فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ) أي : أنزل الله عليهم رجزاً من السماء ، والرجز العذاب ، قال العلماء : وهذا العذاب طاعون أنزله الله عليهم ، قال بعض العلماء : أهلك الله به منهم سبعين ألفاً .

ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم (الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) .

(بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (الباء) سببية ، أي : بسبب كونهم فاسقين .

الفسوق : هو الخرج عن طاعة الله

✉**فالمعاصي سبب لنزول المصائب وزوال النعم .**

قال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)الاعراف

✉**كما قال العباس رضي الله عنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.**

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) .

(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) أي واذكروا يا بني إسرائيل حين طلب موسى السقيا لقومه وقد عطشوا في التيه .

قال الرازي : جمهور المفسرين أجمعوا على أن هذا الاستسقاء كان في التيه ، لأن الله تعالى لما ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل ثيابهم بحيث لا تبلى ولا تتسخ خافوا العطش فأعطاهم الله الماء من ذلك الحجر .

استسقى أي: طلب لهم ماء يشربون منه.

(فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس،

•**قوله تعالى (بعصاك)** قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

•وهذه العصا كان فيها أربع آيات :

❶: أنه يلقيها فتكون حية تسعى ، ثم يأخذها فتعود عصا .

❷: أنه يضرب بها الحجر فينفجر عيوناً .

❸ : أنه ضرب بها البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم .

❹ : أنه ألقاها حين اجتمع إليه السحرة ، وألقوا حبالهم وعصيهم ، فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون .

(فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا)

•في سورة الأعراف قال تعالى (فانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً) وهنا قال (فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)

قال ابن كثيرقوله (فانْبَجَسَتْ مِنْهُ) هذا أول الانفجار ، وأخبر ههنا بما آل إليه الحال آخراً وهو الانفجار .

وقال بعض العلماء : بل هما بمعنى واحد ، فكل من الأنبجاس والانفجار انشقاق واسع ينحدر منه الماء بقوة ورجحه الشنقيطي .

هذه معجزة وآية عظيمة لموسى ، قال بعض العلماء : إنه ما من معجزة أوتيها نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي نبينا صلى الله عليه وسلم من جنسها .

فنبينا صلى الله عله وسلم أوتي معجزة تفجر الماء من بين أصابعه ، وهذه المعجزة لا شك أقوى من معجزة موسى عليه السلام ، وذلك لأن الحجارة أصلاً ما يتفجر منه الأنهار ، لكن ليس من الأصابع ما يتفجر من بينها الماء .

ومن ذلك : سليمان عليه السلام ، سخّرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ونبينا صلى الله عليه وسلم سخّر له البراق فانطلق به من مكة إلى بيت المقدس ، وكذلك عُرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات ، ولم يحدث هذا لسليمان عليه السلام .

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) وقبائل بني إسرائيل اثنتا عشرة قبيلة،

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) منهم

(**مَشْرَبَهُمْ**) أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضا، ولا يتنازعوا، بل يشربونه متهنئين لا متكدرين،

ولهذا قال: (كُلُوا) من المن والسلوى .

(وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ) أي من هذا الماء من غير كدٍ منكم ولا تعب ، بل هو رزق ونعمة من الله.

(وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ) أي: تخربوا على وجه الإفساد.

✉قال ابن عاشور: وقوله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ووجه النهي عنه أن النعمة قد تنسي العبد حاجته إلى الخالق فيهجر الشريعة فيقع في الفساد قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى).

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61) .

⇦أي: واذكروا، إذ قلتم لموسى، على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها،

(لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ) أي واذكروا يا بني إسرائيل حين قلتم لنبيكم موسى وأنتم في الصحراء تأكلون من المنّ والسلوى ، لن نصبر على طعام واحد ، وإن كان كما تقدم أنواعا، لكنها لا تتغير.

(فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا)

✉ عتو هؤلاء اليهود، عتو بني إسرائيل، وما كانوا عليه من الجفاء، ومن ذلك أنهم خاطبوا نبيهم موسى (:يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)الأعراف:134(يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) البقرة:55.فهنا يقولون له :(يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) نادوه باسمه، وهذا أمر لا يليق، وكما ذكرنا في قوله -تبارك وتعالى :(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)النور:63 فمثل هذا لا يليق، ثم أيضًا انظر إلى جفاء هؤلاء: ادع لنا ربك، يعني: كأنه ليس برب لهم، فهذا من سوء أدبهم مع الله -تبارك وتعالى- وسوء أدبهم مع أنبيائه ورسله.

(مِنْ بَقْلِهَا)أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه،

(وَقِثَّائِهَا) وهو الخيار

(وَفُومِهَا) أي: ثومها، **(وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا)**والعدس والبصل معروف، قال لهم موسى

(قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ)

(أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى) فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع .

(بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) وهو المن والسلوى،

ويؤخذ من هذه الآية أن علو همة المرء أن ينظر دائمًا إلى الأكمل والأفضل في كل الأمور، فلا يهبط، ولا ينزل، وهكذا بعض الناس يقرأ كل الكتب ، الا العلوم الشرعية، ويقرأ ويسمع كل ما يضره في دينه،ويضره في دنياه ولا يصبر على طاعة الله ،وكذلك أيضًا من يترك صحبة الأخيار الأبرار،ويصحب الأشرار، وكذلك من ترك الرقية الشرعية واشتغلوا بالسحر، لحل مشاكلهم ، والشباب الذين لم يقتدوا بالنبي ﷺ بأعمالهم وسلوكهم ومظاهرهم،واقتدوا بالفساق العاصيين ،في مواقع التواصل المنحرفين عن كل خير ، ومن ترك قراءة القرآن والإقبال عليه و البديل الاشتغال بسماع القصائد الملحنة، أو سماع المعازف والطرب والغناء....خالد السبت

قال الشيخ سعيد مصطفى : بعض الناس يميل إلى السفاسف، وتستمرئ نفسه الدنيء، وتستعذب المر، وتستحسن القبيح، ولا تستسيغ العذب الزلال، ولا تستطعم الهنيء المريء ، ولا تستشعر الجمال.

وصدق القائل: وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ الْمَاءَ الزُّلالَ

لا شك أنه مرضٌ.... نعم مرضُ الخسةِ والدناءةِ .

والعجيبُ أن مَنْ يُصَابُ بمثل هذا المرض لا يشعر به ولا يشفى منه، يُذَكَّرُ فلا يَتَذَكَر، ويُوعَظُ فلا يتعظ، ويُخَوفُ فلا يرعوي.

كان هذا حال بني إسرائيل تميل نفوسهم إلى الدنايا، وتشمئز من المعالى، فإياك أن تكون منهم، واحذر أن تسلك سبيلهم.

بقي أن نعرف أن الخير كل الخير في امتثال أمر الله تعالى واجتناب أسباب سخطه،وأن الدناءة كل الدناءة في تعدي حدوده وانتهاك حرماته.

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن.

(اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) إن هذه الأطعمة التي طلبتم، أي مصر هبطتموه وجدتموها، وأما طعامكم الذي من الله به عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلا؟

اهبطوا مصرا من الأمصار ، لأنكم في البدو ، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي ، وإنما يكون في القرى والأمصار ، فإن لكم - إذا هبطتموه - ما سألتم من العيش .

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم

انتبهوا السآمة والملال للنعم والزهد فيها هذا من طبائع كثير من النفوس، إذا استمرأت النعمة رغبت عنها، وصار ذلك لايحرك فيها مشاعر الشكرلله -تبارك وتعالى-لا في القلب ولا في اللسان ولا بالعمل في الجوارح، بل لربما ينفر منها ويعيبها ويذمها، وهذا لا يجوز بحال من الأحوال، وهو من كفران النعمة على اختلاف النعم وتنوعها، سآمة النعمة.

فقال موسى عليه وسلم منكرًا على هؤلاء العتاة: أتطلبون هذه الأطعمة التي هي أقل قدرًا، وتتركون هذا الطعام الهنيء الطيب الذي لا تعب فيه، ولا يحتاج إلى زرع وسقي؟ اهبطوا من هذه البادية، وكان ذلك في تيههم إلى أي مدينة، أو قرية، فهنالك تجدون هذه المطلوبات من البصل والعدس والقثاء والفوم، وما أشبه ذلك. خالد السبت

فقال: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) التي تشاهد على ظاهر أبدانهم

(وَالْمَسْكَنَةُ) بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم أنفس مهينة، وهممهم أردأ الهمم،

وقال القرطبي: أي أُلزِموهما وقُضِيَ عليهم بهما . والذِّلّة : الذُّلّ والصَّغار ، والمسكنة : الفقر ، فلا يوجد يهوديّ وإن كان غَنِياً خالياً من زي الفقر وخضوعه ومهانته.

سنةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنَّ مَنْ عَصَاهُ، وتَعَدَى حُدُودَهُ، وانْتَهَكَ حُرُمَاتِهِ أَذَلَهُ اللهُ فِي الدنيا قبلَ الآخرةِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْعِزَّ قَرِينَ طَاعَتِهِ، وَالذُّلَّ قَرِينَ مَعْصِيَتِهِ، وبقدر مَعْصِيَةِ العبدِ يكونُ ذُلُهُ، ومَهَانَتُهُ، وسُقُوطُهُ من عَينِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى. سعيد مصطفى

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفْطَفَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

(وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الحالة حالتهم.السعدي

(ذَلِكَ) الذي استحقوا به غضبه

(بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا **(يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)** .

وقوله: (بِغَيْرِ الْحَقِّ) زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم.

قال القرطبي: فإن قيل: كيف جاز أن يخلّى بين الكافرين وقتل الأنبياء ؟

قيل: ذلك كرامة لهم وزيادة في منازلهم؛ كمثل من يُقتل في سبيل الله من المؤمنين، وليس ذلك بُخذلان لهم.

(أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّ يومَ أُحُدٍ بحمزةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، وقد جُدعَ ومُثِّلَ بِهِ فقالَ: لولا أن تَجزعَ صفيَّةُ لتركْتُهُ حتَّى يَحشرَهُ اللَّهُ من بُطونِ الطَّيرِ والسِّباعِ)

⇦لِيَكونَ لِحَمزةَ رَضِي اللهُ عَنه الأجرُ كامِلًا، وتامًّا، ويكونَ جسَدُه كلُّه في سبيلِ اللهِ تعالَى.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" (أشد الناس بلاءً الأنبياء) لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالنبوة ، وابتلاهم بالدعوة إلى الله ، وابتلاهم بقوم ينكرون ويصفونهم بصفات القدح والذم ، ولكن هذا الابتلاء هو في الواقع رفعة لهم ؛ لأن كل ما أصابهم من جرائها فهو رفعة في درجاتهم .

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [البقرة : 61].

(ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا) بأن ارتكبوا معاصي الله

(وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) على عباد الله، فإن المعاصي يجر بعضها بعضا، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من كل بلاء.

أسأل الله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب أحزاننا، وجلاء همومنا، اللهم ذكّرنا منه ما نُسِّينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم ارحم موتانا، واشف مرضانا، وعاف مبتلانا، واجعل آخرتنا خيرًا من دنيانا -والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .